The Chittagong University Journal of Arts and Humanities
ISSN 1993-5536
VOL.XXXVIII, 2022 (pp. 267 - 280)
Published in July, 2025

كعب بن مالك وعبقريته الشعرية
[কা'ব বিন মালিক ও তাঁর কাব্যপ্রতিভা]

Dr. Md. Amir Hossain *

প্রতিপাদ্যসার: কা'ব বিন মালিক (মৃত্যু : ৫১ হি.) একজন প্রথিতযশা মুখাদরাম কবি। তিনি উত্তরাধিকারসূত্রে কাব্যপ্রতিভা নিয়ে জন্মগ্রহণ করেন। তিনি চারজন বিখ্যাত শা'য়ির আল-রাসুল বা রাসুল (সা.) এর কবিদের মধ্যে অন্যতম। তিনি বদর এবং তাবুকের যুদ্ধ ব্যতীত সকল যুদ্ধে বিরোচিতভাবে অংশগ্রহণ করেছেন। উহুদের যুদ্ধে তিনি রাসুল (সা.) এর দেহরক্ষী হওয়ার সৌভাগ্য অর্জন করেছিলেন। তিনি কবিতার মাধ্যমে শত্রুদের আঘাতের জবাব দিতেন। আরবি সাহিত্যের মানদণ্ডে তাঁর কবিতার সাহিত্যিক মূল্য অপরিসীম। প্রখ্যাত সাহিত্যিক ও ঐতিহাসিকরা তাঁর কবিতাকে উদাহরণ হিসেবে পেশ করেছেন। কবিতায় ব্যবহৃত উপমা, উৎপ্রেক্ষা, বর্ণনার ধারাবাহিকতা, শব্দের প্রাঞ্জলতা ও প্রশংসার নিপূণতা তাঁকে মুখাদরাম কবিদের অন্যতম স্থানে অধিষ্ঠিত করেছে। আলোচ্য প্রবন্ধে কবির সংক্ষিপ্ত জীবনী ও আরবি কাব্যসাহিত্যে তাঁর অনন্য প্রতিভা তুলে ধরা হয়েছে।

مقدمة :

كعب بن مالك كان من شعراء رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، الذين جاهدوا بألسنتهم الحادة ضد الكفار والمشركين كما قال النبي –صلى الله عليه وسلم- مخاطبا لهم : إنَّ المؤمنَ يُجاهِدُ بسيفِه ولسانِه والَّذي نفسي بيدِه لكأنَّ ما ترمونَهم به نَضْحَ النَّبلِ.(الشيباني، 1998م: ص387م) وكان شاعرا مخضرما أدرك الجاهلية والإسلام، وكان من أجود الشعراء، له ديوان كبير،[1] أكثر أشعاره على مدافع الرسول –صلى الله عليه وسلم- وعن الإسلام. طالعت ديوانه، ثم استخرجت عبقريته الشعرية التي تجدد القوة الإيمانية وترغب الإنسان على قول الحق والثبات عليه في السراء والضراء.

لمحة من سيرة كعب بن مالك

اسمه ونسبه :

هو أبو عبد الله كعب بن مالك بن أبي كعب بن سواد وقيل القين (البَلَاذُري، 1417هـ - 1996م: 248/1) بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد بن علي بن أسد بن شاردة بن يزيد بن جشم بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد بن الغوث (الأصبهاني، د.ت.: 240/16) الأنصاري[2] السلمي (بفتحتين) الخزرجي (العسقلاني، 1415 هـ: 456/4) وأما كنيته أبو بشير أو أبو عبد الرحمن، وقال البغويّ: كانت كنيته في الجاهلية أبا بشير، فكناه النبيّ -صلّى اللَّه عليه وآله وسلم- أبا عبد اللَّه. (العسقلاني، 1415 هـ: 456/4)

* Associate Professor, Department of Arabic, University of Chittagong

نشأته و أسرته :

علما منا بأن كعب بن مالك نشأ وترعرع في أسرة شعرية، فأبوه مالك بن أبى كعب شاعر، وعمّه قيس بن أبي كعب شاعر، وابنه عبد الرحمن شاعر، وابن ابنه بشير بن عبد الرحمن شاعر، وابن ابنه عمرو بن عبد الله، والزبير بن خارجة بن عبد الله بن كعب شاعر، وكذلك عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب، ومعن بن عمرو بن عبد الله بن كعب، والضحاك بن معن، ومعن بن وهب بن معبد بن كعب شاعر. وكلهم مجيد مقدم. (الأصبهاني، د.ت.: 240/16)

وأمه ليلى بنت زيد بن ثعلبة من بني سلمة أيضا. تزوج كعب بن مالك بأكثر من واحدة- على عادة العرب في ذلك الوقت-، ومنهن عميرة بنت جبير، فولدت له عبد الله وفضالة، ووهبا، و معبدا، وخولة، وسعادا. والثانية : صفية من أهل اليمن، ولدت له كبشة، والثالثة : أم ولد ولدت له عبد الرحمن، والرابعة : هى خيرة، وله أيضا زوجتان غيرهن، وكان لها أولاد، ولكن لم تذكر المصادر أسمائهم. (كعب بن مالك الأنصاري شاعر العقيدة الإسلامية، 1990م: ص47)

قبول إسلامه :

أسلم كعب بن مالك –رضي الله عنه- مبكرا في حياته، فكان من أوائل الأنصار في المدينة. لما وصل نور الإسلام إلى يثرب وأضاء حوله انشرح الله صدره للإيمان، فآمن بالإسلام ولم يكن في المدينة يومئذ أكثر من أربعين رجلا من المسلمين، وصلى الجمعة فيها قبل هجرة الرسول –صلى الله عليه وسلم- إليها. (النيسابوري، 1988م: 3/ 176)

شهوده في العقبة :

لما كانت العقبة الثانية توجه كعب من اثنين وسبعين رجلا و امرأتين ممن كانوا طلائع الإسلام الأولى في المدينة إلى مكة، حيث وافوا الرسول –صلى الله عليه وسلم- في العقبة و بايعوه على الإسلام والنصرة له، فلما وصل النبي –صلى الله عليه وسلم- إلى المدينة آخى بين المهاجرين والأنصار، وكان آخاه من المهاجرين طلحة –رضي الله عنه-، وقيل أنه الزبير بن العوام. (العسقلاني، 1415 هـ: 158/3)

شهوده في الغزوات :

كان كعب بن مالك –رضي الله عنه- شاعرا كبيرا، فحارب أعداء الله بلسانه، وذب عن الرسول –صلى الله عليه وسلم- بشعره، كما جاهد في المحارب بسيفه، فسر النبي –صلى الله عليه وسلم- وقال في شانه : "أنت تحسن صنعة الحرب". (كعب بن مالك الأنصاري شاعر العقيدة الإسلامية ، 1990م : 56)

اشترك كعب بن مالك –رضي الله عنه- مع الرسول –صلى الله عليه وسلم- في جميع المشاهد إلا غزوتى بدر و تبوك، ففي بدر تخلف عنها; لأن الرسول –صلى الله عليه وسلم- خرج يريد عير القريش، حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد، فلذلك لم يعاتبه أحد. وأما غزوة تبوك كانت في حرّ شديد، حتى سميت غزوة العسرة، تخلف عن هذه الغزوة بسبب الحرارة بضعة و

ثمانون رجلا من المدينة، أكثرهم منافقون أو ضعفاء، أما تخلف كعب معهم مع ما هو عليه من قوة الإيمان عن غزوة تبوك من غير شك ولا ارتياب.

فلما رجع المسلمون من تبوك، جعل المخلفون من المنافقين يتعذرون عند رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ويحلفون بالله على أن لو كانوا مستطعين على الخروج تخرجوا، والنبي –صلى الله عليه وسلم- يستعفون لهم عند الرحمن و يصدقونهم. أما كعب فما تعذر و ما كذب مثل ما فعل المنافقون بل أقر ذنبه و أظهر الحق عند النبي –صلى الله عليه وسلم-، فنهى رسول الله –صلى الله عليه وسلم- المسلمين الكلام عنه و عن الاثنين معه، وهما مرارة بن الربيع العمري و هلال بن أمية الواقفي حتى قضى عليهم خمسين ليلا. وضاقت عليهم الأرض بما رحبت، وصارت ما في الدنيا غرباء عنهم مع أنهم عرفوها حتى أنزل الله آية القرآن التي فيها بشارة قبول توبتهم، حيث قال –جل و علا- ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ، وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾. (سورة التوبة : 117-118) و تجلى من هذه الأيات تخلف كعب بن مالك الأنصاري –رضي الله عنه- عن غزوة تبوك إيمانا عميقا و إسلاما كاملا.

موقفه في عهد الرسول –صلى الله عليه وسلم-:

وكان كعب بن مالك الأنصاري شديد الحب إلى الرسول –صلى الله عليه وسلم-، ويتمنى أن لا يفارقه، و كان صاحب الرسول –صلى الله عليه وسلم- في السلم والحرب، و أحفظ النبي –صلى الله عليه وسلم- بنفسه و جسمه، و خير شاهد عليها يوم أحد حيث جرح كعب للنبى –صلى الله عليه وسلم- عشرين جرحا، و إنه أول من عرف النبي –صلى الله عليه وسلم- سالما بعد أن شاع خبر شهادته بأحد.

وكان متأمنا قويا فولّاه النبي –صلى الله عليه وسلم- في السنة التاسعة على صدقات أسلم و غفار و أيضا بعثه الرسول –صلى الله عليه وسلم- ناديا بين الناس في حجة الوداع، والمزيد على أنه أرسل كعبا ليعلم حدود حرم المدينة لأجل مهارته في الكتابة والحساب. (كعب بن مالك الأنصاري شاعر العقيدة الإسلامية ، 1990م : 67) ولما توفى الرسول –صلى الله عليه وسلم- و ذهب إلى الملإ الأعلى أفجع كعب فجعا شديدا وأثارت قريحته فقال في قصيدته الهمزية : (ديوان كعب بن مالك الأنصاري: دراسة وتحقيق، 2010م : 173)

يا عين فأبكي بدمع ذري	لخير البرية والمصطفي
وبكى الرسول وحق البكاء	عليه لدى الحرب عند اللقا
على خير من حملت ناقة	وأتقى البرية عند التقى

موقفه في عهد الخلفاء الراشدين :

بعد أن توفى الرسول –صلى الله عليه وسلم- كان كعب ممن حضر السقيفة للتداول في أمر الخليفة، وخير شاهد عليها رواية أبي ذويب الهذلي، فشهد على أنه راى كعبا فيها، واستعمله الخليفة

الثالثة عثمان على صدقة مزينة، لما استعلت الفتنة في خلافته لمع اسم كعب على جانب عثمان حتى الرمق الأخير، وتجمع الروايات على وجود كعب بين من كان في الدار من الصحابة و أبنائهم يدفعون الثوار عن عثمان، لما قتل عثمان حزن حزنا شديدا، وتدل على إحساسه لأجل موته شعره :

مَنْ مُبْلِغُ الأنصارِ عنِّيَ آيةً رُسُلاً تَقُصُّ عليهمُ التِّبيانا
أَن قد فَعَلْتم فَعْلة مذكورة كَستِ الفُضُوح وأبدَتِ الشنَّآنا
بقعودكم في دوركم وأميركم تُحْشَى ضواحي دارِه النيرانا

وفاته :

بعد الخليفة عثمان قضى كعب بن مالك الأنصاري بقية حياته في المدينة المنورة تاركا الشام، حتى توفاه ملك الموت الذي وكل به، وفي سنة وفاته أقوال أربعة، تدل رواية الواقدي على أنه مات سنة خمسين وهو قول الأكثرين، وقال الهيثم بن عدي على أنه سنة وفاته إحدى و خمسين، وقيل خمسين أو ثلاث و خمسين، (أبو عمر يوسف، 1993م)، 1323/3) و قيل إحدى و أربعين، و عند الأكثر مكان وفاته المدينة، و قيل الشام. (كعب بن مالك الأنصاري شاعر العقيدة الإسلامية ، 1990م : 72-73)

مكانته العلمية والثناء عليه :

إن الشاعركعب بن مالك –رضي الله عنه- له مكانة رفيعة بين الشعراء المعاصرين، قال النبي –صلى الله عليه وسلم- فيه : "إنك لحسن الشعر"،(كعب بن مالك الأنصاري شاعر العقيدة الإسلامية ، 1990م : 72-73) وكان شعره مملوء بالحكمة، يدل عليه قول الرسول –صلى الله عليه وسلم- ليس شعر حسان بن ثابت ولا كعب بن مالك ولا عبد الله بن رواحة شعرا ولكنه حكمة. (الأصبهاني، د.ت.: 282/12) ذكر ابن سلام عنه حين يتكلم عن القرى العربية : وأشعرهن قرية المدينة، وشعراءها الفحول خمسة، ثلاثة من الخزرج، واثنان من الأوس. ومن الخزرج من بني النجار حسان بن ثابت ومن بني سلمة كعب بن مالك ومن بني حارث بن الخزرج عبد الله بن رواحة. (الجمحى، د.ت.: 84) وقال القرطبي : هو أحد شعراء رسول الله –صلى الله عليه وسلم- الذين كانوا يردون الأذى عنه وكان مجودا مطبوعا. (أبو عمر يوسف، 1993م)، 1323/3) وقد استحسنت عائشة –رضي الله تعالى عنها- شعره وروته فقالت : الشعر منه حسن ومنه قبيح، خذ الحسن و دع القبيح، ولقد رويت من شعر كعب بن مالك أشعارا، منها القصيدة فيها أربعون بيتا ودون ذلك. (السيوطي، 1418هـ 1998م: 265/2)

كل من ترجم له أو ذكروا شيئا عن فنه لم يختلفوا في أنه شاعر مجود مطبوع، وهو من الشعراء القلائل الذين يكتبون في عصره، وهو يستحق بأن يوضح بين الفحول الإسلاميين لوضوح تأثره بالقرآن. وقد وفق في محاكاة أسلوبه من حيث الرقة والبعد عن الغريب، وسلامة التركيب لغويا ونحويا، وأخيرا فقد كفاه فضلا أن يكون أحد ثلاثة اعتمد عليهم الرسول –صلى الله عليه وسلم- في الذبّ عن دعوته، فذاد عنه بلسانه، تافح عن فكرته بقوله.

موضوعات شعر كعب بن مالك –رضي الله عنه- :

علما منا بأن الشاعر العلام كعب بن مالك –رضي الله عنه- له ديوان ينطوي على فخر ومدح وهجاء وغزل ورثاء وما إلى ذلك من الأغراض التقليدية. وقد ذكر له الرواة شعرا كثيرا لم يصل إلينا منه إلاّ القليل. بعض موضوعات شعره فيما يلي :

1. **هجائه المشركين والكفار :**

هجاء[3] كعب بن مالك –رضي الله عنه- ولم يكن تسرعا بالشعر إلى أغراض الناس، أو قذفا بألوان الشتائم، بل هجائه تمزج بالفخر والحماسة والمدح، وقلما نعثر على قصيدة هجائية مستقلة في شعره. ومن معاني هجائه الإعجاب والتكبر واقترانهما بالهزيمة في الحرب، وقد هجا قريشا في قوله: (ديوان كعب بن مالك الأنصاري: دراسة وتحقيق، 2010م : 169)

لعمر أبيكما يا بني لؤى على زهو لديكم و انتخاء
لما حامت فوارسكم ببدر ولا صبروا به عند اللقاء

ومن هجائه ابن الزبعري لضعة النسب، و انحطاط الخلق، و لؤم الطبع في قوله : (ديوان كعب بن مالك الأنصاري: دراسة وتحقيق، 2010م : 185)

سألت بك ابن الزيعري فلم أنباك في القوم إلاهجينا
خبيثا تطيف بك المنديات مقيما على اللؤم حينا فحينا

ومن هجائه قريشا مذكرا بيوم بدر في قوله : (ديوان كعب بن مالك الأنصاري: دراسة وتحقيق، 2010م : 223)

ولكن ببدر سائلوا من لقيتم من الناس والأنباء بالغيب تنفع
وإنا بارض الخوف لو كان أهلها سوانا لقد أجلوا بليل فأخشعوا

ومن ذلك قوله : (ديوان كعب بن مالك الأنصاري: دراسة وتحقيق، 2010م : 169) 218)

فسائل بني بدر إذا لقيتهم بما فعل الإخوان يوم التمارس
إذا ما خرجتم فاكتموا من لقيتم ولا تكتموا أخباركم في المجالس

ومن هجائه تهديد المشركين ووعيدهم الذي يرعبهم ويؤثر في نفوسهم، مثلا قوله : (ديوان كعب بن مالك الأنصاري: دراسة وتحقيق، 2010م : 93)

قضينا من تهامة كل ريب وخيبر لم أجممنا السيوفا
نخبرها ولو نطقت لقالت قواطعهم دوسا أو ثقيفا

فقالت دوس : انطلقوا فخذوا لأنفسكم لا ينزل بكم ما نزل بثقيف.

وجدير بالذكر بأن هجائه يميز بعفة ألفاظه وبعد معانيه عن الفحش والفجور، وهجائه خال عن أسلوب السباب و القزاع، ويعاب على الشاعر أن يسلك هذا السبيل في الهجاء، لكونه أضعف أنواع الهجاء، وترفع كعب في هجائه عن القذف فلم نعثر في شعره كلمة مشينة أو معنى فاحشا، وكذلك يتميز هجائه بتسليكه سبيل السخرية والتهكم والاستهزاء بالهجو.

2. قصائده المدحية :

إن كعب بن مالك –رضي الله عنه- شاعرا طبيعيا لم يتخذ الشعر سبيلا لكسب العيش، فصدرت قصائد منه صدورا اتخذ فيها طريق الأقدمين من حيث غاية الشعر، ولكنه اقتصرت على ما يلائم شخصيته وكان محمد –صلى الله عليه وسلم- لم يكن راغبا أن يمتدحه الشعراء بما كانوا يمتدحون به الملوك، بل كان حريصا أن ينصرفهم إلى أمور الدين الجديد. وكان أغلب ما جاء من مديح كعب سياسيا، فهو إلى جانب العاطفة الدينية التي تسيطر عليه، كانت له أهداف سياسية، آمن بها ويريد الانتشار بين الناس. ومن هذه المبادئ :

(أ). الإيمان بقيادة الرسول –صلى الله عليه وسلم-: على الأمة المسلمة أن يؤمنوا بقيادة الرسول –صلى الله عليه وسلم- والانقياد لها، وتأكيد فضلها على الأمة، حيث قال في مدحه الرسول –صلى الله عليه وسلم- : (ديوان كعب بن مالك الأنصاري: دراسة وتحقيق، 2010م : 208)

لمّ الإله به شعثا ورمّ به أمور أمته والأمر منتشر

(ب). هداية الرسالة الإسلامية : ومن أهداف المديح لكعب بن مالك الأنصاري هى هداية الرسالة الإسلامية التي جاء بها الرسول –صلى الله عليه وسلم-، مثلا قوله: (ديوان كعب بن مالك الأنصاري: دراسة وتحقيق، 2010م : 174)

فينا الرسول شهاب ثم يتبعه نور مضيء له فضل على الشهب
الحق منطقه والعدل سيرته فمن يجيبه إليه ينج من تبب.

(ج) صلة الرسالة بالسماء : إيمانا منا بأن محمدا –صلى الله عليه وسلم- رسول الله، أرسله الله تعالى لهداية الناس جميعا، وله صلة متينة بالسماء، على ما نرى في قوله : (أبو العباس أحمد، 1991م: 56/1)

وفينا رسول الله نتبع أمره إذا قال فينا القول لا نتطلع
تدلى عليه الروح من عند ربه ينزل من جو السماء ويرفع

(د) إثبات المعجزات : بين الشاعر معجزات النبي –صلى الله عليه وسلم- ومقارنتها بالأنبياء -عليهم السلام- حيث قال : (ديوان كعب بن مالك الأنصاري: دراسة وتحقيق، 2010م : 270)

وإن تك نمل البر بالوهم كلمت سليمان ذا الملك الذي ليس بالعمي
فهذا نبى الله أحمد سبحت صغار الحصى في كفه بالترنم.

وأيضا قال : (ديوان كعب بن مالك الأنصاري: دراسة وتحقيق، 2010م : 270)

فإن يك موسى كلم الله جهرة على جبل الطور المنيف المعظّم
فقد كلم الله النبيّ محمدا على الموضع الأعلى الرفيع المسوّم

(ه) الوفاء بالعهد والمحافظة عليه : اقرّ الإسلام القيم التي كان يجلها العرب ويحترمونها ونماها مثل الوفاء بالعهد والمحافظة عليه، حيث نرى مدح قوة العزم والجرآة في بيت ما يلى : (ديوان كعب بن مالك الأنصاري: دراسة وتحقيق، 2010م : 220)

وما ابن ربيع أن تناولت عهده بمسلمه لا يطمعن ثم طامع
وأيضا فلا يعطيكه ابن رواحة وإخفاره من دونه السم نافع
وفاء به والقوقلى ابن صامت بمندوحة عما تحاول يافع

(و) مدح الصدق بالقول وقوة العزم : بين كعب بن مالك –رضي الله عنه- في شعره صدق النبي –صلى الله عليه وسلم- وقوة العزم والهمة والأقدام والجرأة قال : (ديوان كعب بن مالك الأنصاري: دراسة وتحقيق، 2010م : 274)

يمضى ويذمرنا عن غير معصية كأنه البدر لم يطبع على الكذب
نجد المقدم ماضى الهم معتزم حين القلوب على رجف من الرعب.

علمنا من بياننا بأن ممدوحى كعب فقليلون، لأنه لم يتخذ الشعر وسيلة للمعاش، فحمدوه جميعا نالوا منهم الهدايا، وإنه مدحهم بأجل الدين، فأولهم الرسول –صلى الله عليه وسلم- ثم أصحابه من الخلفاء الراشدين والشهداء وكذلك غيرهم من أصحابه. (ابن عبد ربه، 1907: 64/5)

3. قصائده الفخرية :

الفخرهو التمدح بالخصال ولا يختلف معه التفاخر إلا في كونه يتضمن معنى المشاركة. قال ابن منظور : وتفاخر القوم فخر بعضهم على بعض، والتفاخر التعاظم. (ابن منظور، د.ت.:٤/٥٥٦) والفخر عند كعب نوعين: الأول. الفخرالذاتي : يتحدث الشاعر فيه عن شجاعته وبطولته و يبين ما يمتاز به من كريم الخصال ومحمود الصفات، ومن هذا النوع من الشعر قليل جدا، قال في بطولته : (ديوان كعب بن مالك الأنصاري: دراسة وتحقيق، 2010م : 86)

قد علمت خيبر أني كعب مفرج الغمى جريء صلب
إذا شب الحرب تليها حرب معي حسام كالعقيق عضب

الثاني : الفخرالجماعى: وفي هذا النوع من الشعر يوضح محاسن قومه و يجلى مآثرهم و يشيد بهم، أو يتحدث عن جماعة المسلمين الذين آمنوا بالدين الجديد، ومعظم فخر كعب من النوع الثاني، فلم يفخر بنفسه أو بما يمتاز به قومه من شرف النسب و كرم الحسب، و إنما يدور فخره بالدين و بما جاء به من مآثر أخلاقه و مكارم إنسانيته، كما فخر بنيل الشهادة في سبيل الله و تأييد

الملائكة لهم في القتال، و انتصار جند الله كما هو يقول: (ديوان كعب بن مالك الأنصاري: دراسة وتحقيق، 2010م : 87)

ويوم بدر لقيناكم لنا مدد فيه مع النصر ميكال و جبريل
إن تقتلونا فدين الله فطرتنا والقتل في الحق عند الله تفضيل.

ويفخر بذود المشركين عن الكفر وباعانة الله للمسلمين وحفظه وهدايته لهم. فيقول : (ديوان كعب بن مالك الأنصاري: دراسة وتحقيق، 2010م : 230)

يذودوننا عن ديننا ونذودهم عن الكفر والرحمن راء وسامع
إذا غايظونا في مقام أعاننا على غيظهم نصر من الله واسع
وذلك حفظ الله فينا وقضله علينا ومن لم يحفظ الله ضائع
هدانا لدين الحق واختاره لنا ولله فوق الصانعين صنائع

وكذلك يفخر كعب ببعض المآثر التي كان يفخربها الجاهليون، فالإسلام أقرها مثل الحماسة والقوة والكرم. قال يوم خير في قافية الدال: (ديوان كعب بن مالك الأنصاري: دراسة وتحقيق، 2010م : 296)

ونحن وردنا خيبرا وفروضها بكل فتى عاري الأشاجع مذود
جواد لدى الغايات لاواهن القوى جريء على الأعداء في كل مشهد

وكذلك يتحدث بشعره الفخري عن بلائه وبلاء المسلمين في الحرب وشجاعتهم فيها وتقتيلهم للعظماء، يقول : (أبو العباس أحمد، 1991م: 1/51)

فساروا وسرنا فالتقينا كأننا أسود لقاء لا يرجى كليمها
ضربناهم حتى هوى في مكرنا لمنخر سوء من لؤي عظيمها

4. قصائده النقائضية :

النقائض قصيدة يرد بها شاعر على قصيدة الخصم له، فينقض معانيها عليه فيتقلب فخر خصمه هجاء ويحول الفخر إلى نفسه و قبيلته. ويشترط أن تكون النقيضة من بحر قصيدة الخصم و قافيته و رويه. (كعب بن مالك الأنصاري شاعر العقيدة الإسلامية ، 1990م : 65)

ولكعب في هذا الميدان عدة قصائد ناقض بها شعراء الكفر، عددها ست نقائض، أطولها في ستة و أربعين بيتا وأقصرها هي أربعة أبيات وله مراجزتان في هذا الميدان. و من موضوعات نقائضه هو الإسلام وما يتعلق به من توحيد و نبوة و غير ذلك، و غايتها إخراج الناس من الظلمات إلى النور من ضيق الكفر إلى نور الهداية، فالمسلمون يقاتلون لرفع كلمة الله. وإلى هذا المعنى يشير كعب بن مالك في مناقضته لضرار بن الخطاب : (ديوان كعب بن مالك الأنصاري: دراسة وتحقيق، 2010م : 200)

فلما لقيناكم وكل مجاهد لأصحابه مستبسل النفس صابر
شهدنا بأن الله لارب غيره وأن رسول الله بالحق ظاهر

والنقائض على نوعين: إسلامية جديدة، كالإيمان و الكفر والجنة والنار والوحى، مثلا قوله: (ديوان كعب بن مالك الأنصاري: دراسة وتحقيق، 2010م : 201)

فكب أبو جهل صريعا لوجهه وعتبة قد غادرنه وهو عاثر
وشيبة و التيمي غادرن في الوغى وما منهم إلا بذي العرش كافر.
فامسوا وقود النار في مستقرها وكل كفور في جهنم صائر

شعراء النقائض الذين ناقضوا كعبا بن مالك –رضي الله عنه-:
هم ضرار بن الخطاب، أبو سفيان بن حرب، وعمرو بن العاص، عباس بن مرداس، عبد الله بن الزبعري. (كعب بن مالك الأنصاري شاعر العقيدة الإسلامية ، 1990م : 97)

5. . قصائده الرثائية :

ولكعب بن مالك –رضي الله عنه- قصائد ومقطوعات شتى في رثاء الرسول –صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام، تتجلى فيها المجد والتقوى والإسلام، وفيها الخير والبر و الوفاء. وقال في رثاء رسول الله –صلى الله عليه وسلم- : (ديوان كعب بن مالك الأنصاري: دراسة وتحقيق، 2010م : 173)

ياعين فأبكى بدمع ذري لخير البرية و المصطفى
وبكى الرسول و حق البكاء عليه لدى الحرب عند اللقاء

وكذلك تعديد الخصال و تسجيل المناقب تجلى في رثائه لحمزة –رضي الله عنه- : (ديوان كعب بن مالك الأنصاري: دراسة وتحقيق، 2010م : 190)

قرم تمكن في ذؤابة هاشم حيث النبوة و الندى والسؤدد
والعاقر الكوم الجلاد إذا غدت ريح يكاد الماء فيها يجمد
والتارك القرن الكمىّ مجدّلا يوم الكريهة والقنا يتقصد

وبعد ذلك نراه يظهر أثر فقد المراثي في الناس و المجتمع حتى اشرك الجن والملائكة فيه، ويقول : (ديوان كعب بن مالك الأنصاري: دراسة وتحقيق، 2010م : 116)

ألا أنعى النبي إلى العالمينا جميعا ولاسيما المسلمينا
ألا أنعى النبي إلى اصحابه وأصحاب أصحابه التابعينا

ألا أنعى إلى من هدى من الجن ليلة إذ تسمعونا
لفقد النبي إمام الهدى وفقد الملائكة المنزلينا

خصائص شعر كعب بن مالك –رضي الله عنه-

علما منا بأن شعر كعب بن مالك –رضي الله عنه- خصائص شتى، وهى فيما يلى :

1. خلوقصائده من المقدمات الغزلية :

إذا امعنا النظر إلى قصائد كعب نراها خالية من المقدمات الغزلية مع أنها تقليد جاهلى، لم اتبع فيها خطا الجاهلين، ولم يذكر المقدمة الغزلية، وذلك لوجوه. الأول: ضياع مطالع قصائده، الثاني : عوامل السرعة والارتجال، الثالث : لأن أغلب شعره شعر المقطوعات، الرابع : تركها لينزه شعره من معالم الوثنية التي يمكن أن يرمز إليها ذكر الأطلال. قال الشاعر يرثي رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:(ديوان كعب بن مالك الأنصاري: دراسة وتحقيق، 2010م : 173)

ياعين فأبكى بدمع ذري لخير البرية و المصطفى
وبكى الرسول و حق البكاء عليه لدى الحرب عند اللقاء

إلا أنه ذكر المقدمة الغزلية في قصيدة واحدة فقط، وهى : (ديوان كعب بن مالك الأنصاري: دراسة وتحقيق، 2010م : 187)

طرقت عمومك فالرقاد مسهدّ وجزعت أن سلخ الشباب الأغيد
ودعت فؤادك للهوى ضمرية فهواك غوري وصحوك منجد

2. الابتداء بلظة (ألا) أو (ابلغ) أو (من مبلغ):

نلاحظ في قصائده بأنه كثيرا استفتحها بلفظة (ألا) أو (ابلغ) أو (من مبلغ)، و هو عنده محكمة النسج، وقد يتخللها ضرب من الروح القصصية. مثلا(كعب بن مالك الأنصاري شاعر العقيدة الإسلامية ، 1990م : 242)

ألا ابلغا فهرا على ناي دارها وعندهم من علمنا اليوم مصدق
بأنا غداة السفح من بطن يثرب صبرنا ورايات المنية تخفق

وقوله : (ديوان كعب بن مالك الأنصاري: دراسة وتحقيق، 2010م : 219)

ابلغ أبيا أنه قال رايه وحان غداة الشعب والحين واقع
أبى الله ما منتك نفسك أنه بمرصاد أمر الناس راء وسامع

وقوله : (الأصبهاني، د.ت.: 242/16)

مَنْ مُبْلِغُ الأنصارِ عنِّيَ آيةً رُسُلاً تَقُصُّ عليهمُ التِّبيانا
أَن قد فَعَلْتم فَعْلة مذكورة كَستِ الفُضُوح وأبدَتِ الشنَّآنا

3. المصطلحات الإسلامية :

إذا نظرنا إلى قصائد كعب مالك –رضي الله عنه-نجده زاخرا بألفاظ ومصطلحات إسلامية ما حملتها معنى جديدا ذا صبغة إسلامية، ومن ذلك لفظ رسول الله –عليه السلام-، وهو إصطلاح إسلامي : (ديوان كعب بن مالك الأنصاري: دراسة وتحقيق، 2010م : 200)

وفينا رسول الله والأوس حوله له معقل منهم غزيز وناصر

ولفظ فاجر في قوله : (ديوان كعب بن مالك الأنصاري: دراسة وتحقيق، 2010م : 201)

بهن ابدنا جمعهم فتبددوا وكان يلاقى الحين من هو فاجر

ولفظ كفور و جهنم ورد في قوله : (ديوان كعب بن مالك الأنصاري: دراسة وتحقيق، 2010م : 201)

فامسوا وقود النار في مستقرها وكل كفور في جهنم صائر

4. المتأثربالقرآن الكريم :

إذا أمعنا النظر إلى أشعار كعب بن مالك –رضي الله عنه- نراه متأثرا إلى حد كبير بالمعانى الإسلامية التي وردت في القرآن الكريم، مثلا قوله: (ديوان كعب بن مالك الأنصاري: دراسة وتحقيق، 2010م : 200)

عجبت لأمر الله والله قادر على ما اراد ليس لله قاهر

متأثر بقوله تعالى : ﴿وإذا ارد الله بقوم سوءا فلا مردّ له، وما لهم من دونه من وال﴾ (سورة الأنعام :147)

وأما قوله : (ديوان كعب بن مالك الأنصاري: دراسة وتحقيق، 2010م : 201)

فامسوا وقود النار في مستقرها وكل كفور في جهنم صائر

فمتأثر بقوله تعالى : ﴿وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم ربئس المصير﴾(سورة الملك :6)

الصور البلاغية في شعر كعب بن مالك –رضي الله عنه- :

إذا أمعنا النظر إلى أشعار كعب بن مالك وجدناها ما تجمع إلى ملاحة اللفظ وفصاحتها، عُمقَ المعنى وطرافتَها، وأشعاره مملوءة بالفصاحة والبلاغة من التشبيه والاستعارة والكناية والاستيراد والطباق والمقابلة والمبالغة و غير ذلك مما يحتاج إلى البيان، فنحن نشير إلى بعضها، وهى فيما يلى:

1- أما التشبه[4] فنجده في ديوانه بأنه شبه طعنات الرماح بفم السقاء، مثلا : (ديوان كعب بن مالك الأنصاري: دراسة وتحقيق، 2010م : 2290)

تكر القنا فيكم كأن فروعها عزالى مزاد ماؤها يتهزع

وشبه المسلمين بفحول الإبل، مثلا(ديوان كعب بن مالك الأنصاري: دراسة وتحقيق، 2010م : 257)

يمشون تحت عمايات القتال كما تمشي المصاحبة الأدم المراسيل

وشبه الرسول –عليه السلام- بالبدر في قوله : (ديوان كعب بن مالك الأنصاري: دراسة وتحقيق، 2010م : 257)

يمضي ويذمرنا عن غير معصية كأنه البدر لم يطبع على الكذب

2- وأما الاستعارة[5] فنرى في ديوانه أنه استعار كلمة النور للهداية، مثلا(ديوان كعب بن مالك الأنصاري: دراسة وتحقيق، 2010م : 169)

وردناه بنور الله يجلو دجى الظلماء عنا والغطاء

واستعار لهداية الإسلام كلمة النور في قوله : (ديوان كعب بن مالك الأنصاري: دراسة وتحقيق، 2010م : 187)

واشياع أحمد إذ شايعوا على الحق ذي النور والمنهج

3- أما الجناس فمن الحق أنه قليل في شعره، ومن أمثلته قوله :

تخال جدية الابطال فيها غداة الزحف جاديا مدوفا

(ديوان كعب بن مالك الأنصاري: دراسة وتحقيق، 2010م : 235)

وحوش الوحوش مطارة عند الوغى عبس اللقاء مبينة الانجاب

(ديوان كعب بن مالك الأنصاري: دراسة وتحقيق، 2010م : 179)

ففي البيت الأول جانس بين جدية وجاديا، وفي الثاني جناس بين حوش والوحوش.

4- وأما الطباق فقد نجده في عدة مواضع في أشعاره، فقال :

فجئنا إلى موج من البحر وسطه أحابيش منهم حاسر ومقنع

(ديوان كعب بن مالك الأنصاري: دراسة وتحقيق، 2010م : 235)

ودعت فؤادك للهوى ضمرية فهواك غوري وصحبك منجد

(ديوان كعب بن مالك الأنصاري: دراسة وتحقيق، ٢٠١٥م : ١٨٥)

ففي البيت الأول طابق بين حاسر ومقنع، وفي الثاني طباق واضح بين غوري ومنجد.

5- خلو شعره من أن تكون ألفاظه خالية من الغرابة والشذوذ وتنافر الحروف، فكان فصيح السان، واضح البيان. فلغته سهلة لينة، لأنه لم يتغول في الصحراء ولم يترعرع بين الأعراب.

التقديم ما حقه التاخير : إذا امعنا النظر إلى قصائد كعب يتضح لنا بأنها مملوئة بالفصاحة والبلاغة، وهو لايقدم ما حقه التاخير، ولا يؤخر ما حقه التقديم، إلا ما دعت إليه أصول البلاغة كما في قوله : (ديوان كعب بن مالك الأنصاري: دراسة وتحقيق، 2010م : 2020)

عبيدة امسى ولا نرتجيه لعرف عرانا ولا منكر

أو قوله : (ديوان كعب بن مالك الأنصاري: دراسة وتحقيق، 2010م : 253)

وهام بني ربيعة سائلوها ففي أسيافنا منها فلول

فتقدم عبيدة وهام، أفادا الاهتمام بهما.

6- شعره خالي من التعقيد : كان كعب بن مالك –رضي الله عنه- شاعر الطبيعية، لاتعقيد في قصيدته ولا التواء، ولم يعرف عنه على أنه قوم شعره بالثقاف ونقحه بإعادة النظر فيه، وهو يجري في شعره على سجيته.

الخاتمة :

ففي النهاية نقول بأن قصائد كعب بن مالك –رضي الله عنه- لها أهمية كبرى في الأدب العربي والتاريخ الإسلامي كليهما، وهذه الأشعار أسمى القوة في تاثير الأدباء والفضلاء، أظهر بها مهارته الشعرية وفطانته العميقة في رحاب الأدب العربي. وله قوة جاذبية التي جذب بها الرسول -صلى الله عليه وسلم- فعدّه من شعرائه المكرمين ، وقد نظم بعض القصائد ناقض فيها شعراء الكفار الذين هاجموا الإسلام، وتصدّوا للرسول –عليه السلام- ودعوته. نظرا إلى هذه الأهمية القصوى تدرس في أكثر مدارس بنغلاديش والبلاد الإسلامية الأخرى وجامعاتها، والباحثون يعكفون عليها عبر القرون ليستخرجوا منها اللآلي المكنونة والكنوز الزخيرة. وهى لاتزال تدرس جيلا بجيل في المعاهد الدينية إلى يوم القيامة.

---

[1] لم يتوفر لدينا إلى الأن ديوان لكعب بن مالك، يجمع أشعاره، ويحفظ آثاره، ولكن إشارات وردت عنه في ثلاثة نصوص متفرقة هى : (1) نص للعينى في الشواهد الكبرى، على هامش خزانة الأدب. (2) نص لحاجى خليفة في كشف الظنون، في معرض تعديده للدواوين. (3) نص في هامش سيرة ابن هشام. أنظر : *شرح الشواهد الكبرى* 597/4، *كشف الظنون* 808/12، *سيرة ابن هشام* 159/2.

[2] نسبة إلى الأنصار، وهم الذين نصروا رسول الله على الله عليه وسلم وآووه والمهاجرين. انظر : (*كعب بن مالك الأنصاري شاعر العقيدة الإسلامية*، 1990م: ص47)

[3] والهجاء هو عمل أدبيّ يهاجم الرَّذيلة أو الحُمق البشريّ من خلال السُّخرية، وقد يلجأ الهجّاء إلى سلب المهجوّ ما يَعتزّ به من الفضائل، أو رميه بما ينفّر من الرذائل، وأحيانًا يكون الهجاء سياسيًّا بغرض سلب الحاكم أو الأمير هيبته.

[4] هو مشاركة أمر لأمر آخر في معنى بأدوات معلومة، مالم يكن على وجه الاستعارة التحقيقية، ولا الاستعارة بالكناية، ولا التجريد. أنظر: (أحمد الهاشمي، 1999م: ص219)

[5] الاستعارة هى تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه. انظر : (عمرو بن بحر، 1423 هـ:142/1)

المصادر والمراجع:

1- أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، *مسند أحمد بن حنبل*، تحقيق : السيد أبو المعاطي النوري، بيروت : عالم الكتب، 1998م.
2- أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري، *أنساب الأشراف*، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، بيروت : دار الفكر، 1417هـ - 1996م.
3- أبو الفرج الأصبهاني، *الأغاني*، تحقيق: سمير جابر، بيروت : دار الفكر، د.ت.
4- أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، *الإصابة في تمييز الصحابة*، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، بيروت : دار الكتب العلمية، 1415 هـ.
5- سامي مكي العاني، *كعب بن مالك الأنصاري، شاعر العقيدة الإسلامية*، دمشق: دار القلم، 1990م.
6- سامي مكي العاني، ديوان كعب بن مالك الأنصاري: دراسة وتحقيق، بغداد: مكتبة النهضة، 2010م.
7- أبو محمد عبد الله بن علي بن الجارود النيسابوري، *المنتقى من السنن المسندة*، بيروت : مؤسسة الكتاب الثقافية، 1988م.
8- أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي، *الاستيعاب في معرفة الأصحاب*، تحقيق : علي محمد البجاوي، بيروت : دار الجيل، 1993م.
9- أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، *الأدب المفرد*، بيروت : دار البشائر الإسلامية، 1409 هـ.
10- محمد بن سلام الجمحي، *طبقات الشعراء*، تحقيق: محمود محمد شاكر، مصر: دار المعارف، د.ت.
11- جلال الدين السيوطي، *المزهر في علوم اللغة وأنواعها*، تحقيق : فؤاد علي منصور، بيروت: دار الكتب العلمية، 1418هـ 1998م.
12- أبو العباس أحمد بن عبد السلام الجرّاوي التادلي، *مختصر كتاب صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب*، المحقق: محمد رضوان الداية، بيروت : دار الفكر المعاصر، 1991م.
13- ابن عبد ربه، *العقد الفريد*، مصر: دار الكتب الأدبية-1907.
14- ابن منظور، *لسان العرب*، القاهرة : دار المعارف، د.ت.
15- عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ، *البيان والتبيين*، بيروت : دار مكتبة الهلال، 1423 هـ.
16- أحمد الهاشمي، *لجنة من الجامعين*، بيروت: مؤسسة المعارف، 1999م.
17- مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة، *كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون*، بغداد : دار إحياء التراث العربي، 1941م.